91868 - وُضعت تحت مساومات وضغوط فاضطرت للسرقة من خالتها

السؤال

أعرض عليك مشكلتي آملة أن تساعدني ، أنا فتاة في العشرين من عمري ، ملتزمة ، ومتعلمة ، ومن أسرة متدينة ومحافظة جدا ، أعيش مع والدتي وأختيّ ؛ حيث إن والدي متوفى منذ أربع سنوات ، وقبله أخي الوحيد بثلاث سنوات ، كنت ضحية مؤامرة حقيرة من صديقة خدعتني واستطاعت أن تأخذ صورة مني بغير علمي ، وفاجأتني وقد تلاعبت بصورتي على برامج الكمبيوتر ووضعت رأسي على جسد امرأة في وضع قذر جدّاً ، وطلبت مني مبلغ 5000 آلاف وإلا سترسل الصورة إلى والدتي ، وكانت تلك السافلة تعرف أن والدتي مصابة بـ " هبّات تشنّجيّة " في صدرها بسبب الحزن ، وقالت لي بالحرف الواحد : " إن لم تدفعي المبلغ سأرسل الصورة إلى والدتك فتصاب بالجلطة وتموت كما مات أبوك وأخوك " .

إني أعترف بأني كنت ساذجة ، وأني لم أحسن التصرف من شدة خوفي على والدتي ومشاعرها ، وكانت قد هددتني في اليوم الذي ذهبنا فيه لزيارة خالتي ، فدخلت كي أصلي في غرفة ابنة خالتي ، فرأيت إسورتها وسلسالها وحلقها ، وفكرت في السرقة من باب أن الضرورات تبيح المحظورات ، وقلت في نفسي لن آخذ إلا السلسال لأن ثمنه يكفيني مع أن المجوهرات كانت أمامي ، وفكرت أني إن أخذت من بيت أهلي وسرقت فإن والدتي ستكشف أمري ، فلجأت إلى السرقة من بيت خالتي ، ونحن على علاقة طيبة جدّاً مع خالتي هذه ، وهي أحب وأقرب الناس إلينا ، وسرقتي من بيت خالتي كانت لسبب ألا وهو أني أستطيع أن أردّ ما سرقت لخالتي كهدية في المستقبل أو بأي صورة أخرى , ودفعت المبلغ لتلك السافلة ، احتقرت نفسي كثيراً بعد فعلتي هذه إذ إن يدي لم تُمدّ إلى الحرام قبلها ، وأنا متدينة جدّاً ، وأقوم بحفظ القرآن ، بعد فترة طلبت هذه السافلة مني مبلغاً آخر ، وأنا في خضم معاناتي انكشف أمر سرقتي لبيت خالتي ، انصدمت والدتي ومجرد أن سألتني انفجرت باكية وأعلمتها بمشكلتي كاملة ، والحمد لله أن والدتي إنسانة عاقلة متفهمة تثق بي وبتربيتي وتفهمت الموضوع ، واعتبرت ما حدث لي ولها ابتلاء من الله عز وجل ، ووجهت إليّ اللوم الشديد لأنني لم ألجأ إليها وارتكبت ذنب السرقة ، وطلبت مني أن أستغفر الله ، وارتاحت نفسي ، وظننت أنها نهاية المعاناة ، وضّحت والدتي لخالتي ما حدث وأعادت إليها ما أخذت منها ، ولكن للأسف لم تصدق خالتي ، وأصبح للموضوع ذيول أخرى تمس شرفي وسمعتي أنني بين أهلي وأقربائي بشخصية وبعيداً عنهم بشخصية أخرى , عندها أقسمت على المصحف الشريف أمام خالتي على طهارتي وعفتي واستقامتي ، ولكن خالتي مصرة أن ما حدث لي لا يُبرر بأن أسرق من بيتها وأنها فقدت الثقة بكل الفتيات بعد فعلتي ، وزاد هذا الشيء أنه لدي ابنة خالة كانت دائما تقول لي إن كنت أحببت أحدا أو شيئاً ما ، وكنت أجاوبها بأني لا يمكن أن أخرج عن الشرع والدين ، فلما رأت ابنة خالتي موقفي أصبحث تحرّض أمها زيادةً عليّ ، حدثت مشاحنات بين أمي التي تدافع عن شرفي وبين خالتي التي تتهمني بأني أتعاطي المخدرات ، أو بأن الصورة حقيقية وليست مركبة ، وانقلبت المحبة والمودة إلى عداوة وبغضاء .

شيخنا :

لجأت إليكم لتحكم بيننا ، فأنا ضحية غدر وإفك وبهتان ، وأعترف بغلطتي لأنني ارتكبت ذنباً لأخرج من أزمتي ، وأعترف بغلطتي فأنا لم أصارح أمي منذ البداية بسبب خوفي الشديد عليها ظنّاً منّي أنني أستطيع إنهاء الأمر دون علمها .

أرجو أن أتلقى منك كلمة فصل بيننا وبين خالتي تعيد ولو جزءاً من المحبة التي كانت بيننا ، وتعيد الصلة بين والدتي وخالتي التي كان يظن الأقرباء أنه لا يفرق بينهما إلا الموت ، خاصة وأني سأجعل خالتي تقرأ إجابتكم الكريمة ، وشكراً .

الإجابة المفصلة

هذه ثلاث رسائل نوجهها لكِ ، ولصديقتكِ ، ولخالتكِ .

الرسالة الأولى : لكِ

1. نسأل الله أن يُعظم لك الأجر ، وأن يفرِّج كربك ، وأن يجمع شمل أسرتك على خير .

2. نرجو أن يكون ما حصل درساً لكِ ولغيركِ ، بأن لا تتهاون المرأة في صورتها وتصوير نفسها ولو مع صديقاتها ، وأن لا تعطي ثقتها في هذه المسائل لأحدٍ ، وحتى أقرب الناس منها كأختها – مثلاً – فإنها لا تأمن زوج أختها أن ينظر إليها أو ينشرها ، فضلاً أن تعطي ثقتها لغريب عنها بحجة الصداقة أو القرابة .

3. وقد وقعتِ في الخطأ قبل السرقة في عدم مشاورتك لأهل العلم والحكمة ، وكنا ونحن نقرأ رسالتكِ نعتقد أنها ستنتهي عند المشاورة فيما تفعلينه مع الصديقة الخائنة ، لكننا فوجئنا بتطور الأمور ووصولها لذلك الحد ، ولعلَّ في هذا ما يكون عبرة لكل أحدٍ يقع في ورطة أن يبحث عن الحل عند غيره قبل استفحالها وتطورها ؛ لأن المشكلات كلما تطورت زاد تعقيدها ، وبخاصة ما يقع مع النساء من قبَل أهل الشر والفساد .

4. وما فعلتيه تجاه خالتكِ هو المتحتم عليكِ ، فقد صدقتِ معها في القول ، وأرجعتِ حقها لها ، وحلفتِ لها على حقيقة ما حصل ، والواجب عليها تصديقك وتجاوز هذا الأمر ، واعلمي أن الصدق منجاة لصاحبه ، وأن الله تعالى مُظهر الحق عاجلا أم آجلاً ، فاصبري واستعيني بالله تعالى ، وداومي على دعائه بأن يفرج عنك ، ويُظهر العدل والحق .

5- نتوجه إليك بهذه المشورة ، وهي تحتاج منك إلى مشاورة أهلك ، ومشاورة أحد المحامين ـ لو أمكن ـ لأننا لا ندري شيئا عن قوانين بلادكم : لماذا لا تقومين بإبلاغ الشرطة عن صاحبتك التي خدعتك بالصورة ، فإننا نظن أنه لو تم القبض عليها ومعاينة جهازها (الكمبيوتر) سيكفيك الله شرها ويبين الحق إن شاء الله تعالى .

الرسالة الثانية : لصديقتكِ

1. يجب عليكِ أن تتوبي إلى الله وتستغفرينه مما حصل منكِ ، واعلمي أنكِ قد ارتكبتِ ذنوباً كثيرة ، وتسببتِ بمفاسد متعددة ، فقد خنتِ صديقتكِ ، واتهمتيها زوراً وبهتاناً ، وساهمتِ في نشر المنكر من الصور القبيحة التي رأيتِيها ودبلجتيها على صورة صديقتك ، وأخذتِ منها المال بغير حق ، وتسببتِ في أذيتها ، وتسببتِ في قطيعة الرحم .

2. ومن تمام توبتكِ : الاعتراف بخطئكِ لصديقتكِ ، ولأمها ، ولخالتها ، ولا يقبل الله تعالى توبتكِ إلا بهذا ؛ لأن من شرط التوبة : إصلاح ما فسد بالمعصية ، قال تعالى : (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) البقرة/160 ، واعلمي أنه باعترافكِ بفعلكِ ستفرجين كرب صديقتكِ ، وترفعين التهمة الباطلة عنها ، وعمُر الإنسان قصير ، ثم سيلقى ربه تعالى بأعماله ، فإياكِ أن تلقي ربك بتلك الأفعال من غير توبة صادقة منها ..

3. ومن تمام توبتك : إرجاع المال الذي أخذتيه بغير حق لصديقتك .

4. ومن تمام توبتكِ : إتلاف الصورة بالكلية ، وعدم معاودة الذنب مع صديقتك ، ولا مع غيرها .

الرسالة الثالثة : لخالتكِ

1. يا خالتَنا العزيزة : اعلمي أن الله تعالى مطلع عليكِ ، سامع لقولك ، يعلم السر وأخفى ، ولا نريد لكِ إلا الخير ، فمثلك يكون مرجعاً في الملمات والمشكلات ، وعند أمثالك يطلب التائهون الدلالة على الطريق ، وفي حضنك ترتمي بناتك وبنات أخواتك ؛ لأنكِ الصدر الحنون والقلب الرحيم الذي يعرفونه ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال : (الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُم) رواه البخاري (2553) .

2. يا خالتنا العزيزة : سنسألك سؤالا واحداً نرجو أن تجيبي بينك وبين نفسك : ماذا لو حصل مثل هذا الموقف – لا قدَّر الله – مع إحدى بناتك ؟ وماذا لو كانت فعلت مثل ما فعلت ابنة أختك ؟ فهل ترضين أن يكون موقف خالتها مثل موقفك الآن ؟ إننا نجزم بما نعتقده فيك ونحسن الظن بك أنك لن ترضي ذلك ، فلمَ إذن ترضينه لنفسك ؟ ولا تستبعدي شيئاً عن أهل الشر أن يفعلوه ، ولا تستبعدي شيئاً عن أهل الخير أن يقعوا فيه ظلماً وبغياً .

إننا لنرجو لكِ ولأبنائك وبناتك الخير ، ونرجو أن يتسع صدرك لتقبل الحقيقة ، ومعرفة براءة ابنة أختك من التهمة الباطلة التي ألصقتها بها صديقتها ، ونحن قد نصحنا صديقتها بالتوبة والاعتراف لكم بالحقيقة ، فلعلَّ الله أن يهديها ، وتعترف أمامكم بقبيح جرمها ، لكن نطلب منكِ التأمل في هذا الاتهام الباطل ، وأن تعلمي أنه محض افتراء ، ورجاحة عقلك ، وسعة صدرك يحتمان عليك أن يكون موقفك مثاليّاً .

3. يا خالتنا العزيزة : إن نبيك محمداً صلى الله عليه وسلم قد أمركِ بأمرٍ لا نظنك إلا أن تنفذيه طائعة مستجيبة لأمره ، وهذا الأمر هو : أنه من حلف لكِ بالله فيجب عليك أن تصدقيه ، وأن ترضي بيمينه ، وليس عندك يقين يقابل يمين ابنة أختك ، فليس لك إلا الطاعة لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، والاستجابة لأمره .

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ) .

رواه ابن ماجه (2101) ، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (11 / 536) والألباني في " صحيح الترغيب " (2951) .

قال السندي – رحمه الله – على هامش " سنن ابن ماجه " :

(ومن حُلف له) أي : حُلف بالله لإرضائه .

(فليس مِن الله) أي : من قُربه في شيء .

والحاصل : أن أهل القرب (يعني : من الله) يصدِّقون الحالف فيما حلف عليه ؛ تعظيماً لله ، ومَن لا يصدقه مع إمكان التصديق : فليس منهم . انتهى .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن – رحمه الله – :

وقوله : (مَن حُلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله) : أما إذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين فأحلفه : فلا ريب أنه يجب عليه الرضا ، وأما إذا كان فيما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك : فهذا من حق المسلم على المسلم : أن يقبل منه إذا حلف له معتذراً أو متبرئاً من تهمة ، ومن حقه عليه : أن يحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه ، كما في الأثر عن عمر رضي الله عنه : (ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرّاً وأنت تجد لها في الخير محملاً) .

وفيه : من التواضع والألفة والمحبة وغير ذلك من المصالح التي يحبها الله ما لا يخفى على من له فهم ، وذلك من أسباب اجتماع القلوب على طاعة الله ، ثم إنه يدخل في حسن الخلق الذي هو أثقل ما يوضع في ميزان العبد ، كما في الحديث ، وهو من مكارم الأخلاق .

" فتح المجيد " (ص 405) .

ونرجو يا خالتَنا العزيزة التأمل في كلام هذا الشيخ – رحمه الله – فإنه في صميم مسألتكم وقضيتكم ، فمن حق ابنة أختك عليك أن تقبلي منها يمينها ، ومن حقها عليكِ أن تحسني الظن بها .

وهل علمتِ يا خالتَنا العزيزة ماذا فعل عيسى عليه السلام عندما رأى رجلاً يسرق ، فحلف له ذلك الرجل بالله أنه لم يسرق ؟ اقرئي وتأملي :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : (رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ ، فَقَالَ لَهُ : أَسَرَقْتَ ؟ قَالَ : كَلَّا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَقَالَ عِيسَى : آمَنْتُ بِاللَّهِ ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي) . رواه البخاري (3260) ومسلم (2368) .

قال ابن القيم – رحمه الله – :

" ومعنى الحديث : أن المسيح – عليه السلام – لعظمة وقار الله في قلبه وجلاله ظن أن هذا الحالف بوحدانية الله تعالى صادق ، فحمله إيمانه بالله على تصديقه ، وجوَّز أن يكون بصره قد كذبه ، وأراه ما لم ير ، فقال : " آمنت بالله وكذبت بصري " .

ولا ريب أن البصر يعرض له الغلط ورؤية بعض الأشياء بخلاف ما هي عليه ، ويخيِّل ما لا وجود له في الخارج ، فإذا حكم عليه العقل تبين غلطه ، والمسيح صلوات الله عليه وسلامه حكَّم إيمانه على بصره ، فكذَّب بصره ، ونسب الغلط إليه .

" بدائع الفوائد " (3 / 1159 ، 1160) .

وإننا لنرجو أن يكون ما ذكرناه كافياً لقبول يمين ابنة أختك ، ورفع التهمة عنها ، ولا يسعك مخالفة الشرع في رفض هذا الحكم ، ظننا بك لن يخيب إن شاء الله .

4. يا خالتَنا العزيزة : نختم معك هذه الرسالة بالقول أنه لو كان – لا قدر الله – قد حصل من ابنة أختك الذنب والخطأ ، ولن نقول إنك علمتِ ذلك من طرفٍ ثالث ، بل سنقول إنك رأيتِ ذلك بنفسك ، أتدرين ما الذي يجب عليك فعله ؟ إنه الستر عليها ! نعم ستر ذنبها ، وعدم إشاعته بين الناس ، أتدرين ما الأجر المترتب على ذلك ؟ إنه الستر عليكِ في الدنيا والآخرة من قبَل ربنا تبارك وتعالى .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) . رواه مسلم (2699) .

وتأملي ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل دفع زانياً للاعتراف بذنبه ، قال له : (لو سترته بثوبك كان خيراً لك) !

رواه أبو داود (4377) وصححه الألباني في " صحيح الترغيب " (2335) .

وتأملي الوعيد المترتب على من كشف عورة أخيه – وحاشاكِ من ذلك ؛ لأن عرض ابنة أختك هو عرضك ، والمسيء إليها مسيء إليك – .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ) .

رواه ابن ماجه (2546) وصححه الألباني في " صحيح الترغيب " (2338) .

فيا خالتَنا العزيزة :

اعذرينا على الإطالة ، ولم نطل إلا من حرقتنا على قطيعة رحم كانت بسبب حسن ظن ابنة أختك بالناس ، ومن حرقتنا على عرضٍ يتهم بغير حق ، فلم تري شيئاً بنفسكِ ، ولم تعترف ابنة أختك بذنبها ، بل حلفت لك اليمين وأعلمتكِ بصديقتها التي سبَّبت لها الأذى ، فأي عذرٍ بقي لأحدٍ أن يتهمها أو يتكلم في عرضها .

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقكم لكل خير ، وأن يجنبكم الشر وأهله ، وأن يجمع بينكم على خير ، وأن يعيد ما بينكم من روابط أقوى مما كانت .

والله الموفق